الانغماس اللّغوي عند الباحث عبد الرّحمن الحاج صالح: قراءة في المصطلح

د. أحمد بوعسرية
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة يحي فارس، المدية- الجزائر

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى إبراز جانب من جوانب إسهامات "الأستاذ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح" في الدّرس اللّساني المعاصر، من خلال كتاباته اللّسانية المتعدّدة والمتنوّعة في ميدان الدّراسات اللّسانيّة الغربيّة، والدّراسات اللّسانيّات العربيّة. سأتناول في هذا البحث المصطلح التّعليمي، مركّزاً على مصطلح "الانغماس اللّغوي" من منظور الباحث" عبد الرّحمن الحاج صالح" من خلال بعض بحوثه ودراساته اللّسانيّة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح التّعليمي؛ اللّسانيّات؛ التّعليميّة؛ الانغماس اللّغويّ.

Abstract:

This article highlights the aspect of the contributions of "Professor Abderrahman HADJ SALAH" in the contemporary language lesson, through his various linguistic and varied writings in the field of studies of Western linguistics and studies of Arabic linguistics.

The investigated aspect is the educational term. Among these terms, we studied the "Linguistic immersion" from the researcher's view point "Abderrahman HADJ SALAH" in some of his linguistic research and studies.

Key words : Pedagogical term; Linguistics, Education; Language immersion.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

مقدمة:

إنّ التّعلّم عمليّة حيويّة تتجلّى في تغيّرات سلوكيات الأفراد نتيجة تفاعلهم مع بيئتهم الماديّة والاجتماعيّة، فللحصول على إجادة مهارة ما، ولتكن مثلا تعلّم مهارة اللّغة، يكون صاحبها في أمسّ الحاجة إلى إجراء عملي لتّعلّمها، بمثابة برنامج لغويّ، وذلك يكون بإقامة بيئة لطلاّب هذه اللّغة المراد تعلّمها، وهو ما يصطلح عليه بالانغماس اللّغوي.

إنّ ميدان تّعليميّة اللّغة أو علم تدريس اللّغة يحتاج كأيّ علم من العلوم إلى مصطلحات تعبّر عن مفاهيمه، وهي موجودة داخل نظام منسجم، لها وظيفة تصنيفيّة دقيقة في ميدان العلم والتّقنيّة، ليتوسلّ بها أصحاب هذا العلم أوالفنّ في مخاطباتهم، ذلك لأنّ الباحث يلزمه في مباشرة دراسته أن يلمّ بالمصطلحات ومفاهيمها ليتقن ميدانه المعرفيّ وتخصّصه.

ومن البحثة، الذّين كان لهم الفضل في دراسة المصطلح التّعليميّ وإثرائه إنتاجا وتقويماً، "الأستاذ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح "بأبحاثه العلميّة ودراساته اللّسانيّة، تأتّى له ذلك بعد مكوثه ما يربو عن أربعين سنة من الزّمن على دراسة التّراث العربيّ الأصيل بحثاً وتنقيبا، حيث فهمه وبعثه بقراءة جديدة تتلاءم مع الدّرس اللّسانيّ الحديث، فمنهجه في الدّراسة أصيل، لأنّه لا يتحيّز لما هو قديم ولا يناصر ما هو حديث، بل منهجه الوسطيّة والاعتدال، فالكلّ عنده يخضع للفحص والتمعّن سوآء أكان من العرب أم كان من الغربيّين، وهذا ما يؤكدّ تمكنّه من فهم التّراث اللّغويّ الأصيل، كما يدلّ على ثقافته الكبيرة وسعة اطّلاعه على البحوث اللّسانيّة الغربيّة.

وللباحث "عبد الرّحمن الحاج صالح" جهود في التّعليميّة بصفة عامّة، وفي الدّرس المصطلحي التّعليمي بصفة خاصّة من خلال بحوثه اللّسانية، منها على سبيل المثال لا الحصر: "الأسس العلميّة لتطوير تدريس اللّغة العربيّة"، وغيرها من البحوث القيّمة التّي تندرج في إطار هذا الميدان، بحيث ساق إضافات جديّة في سبيل إصلاح الملكة اللّغويّة.

ففي ميدان المصطلحيّة التّعليميّة، نتساءل كيف كان تصور الباحث" الحاج صالح" لمصطلح بارز وأساسي في ميدان تّعليميّة اللّغة العربيّة وهو الانغماس اللّغويّ ؟

وهل استطاع أن يبرز-في تصوّره-دور هاته الوسيلة التّعليميّة في تحصيل اللّغة الهدف ؟

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور :

المحور الأول :عرض مفهوم الانغماس اللّغويّ من خلال المعاجم التّراثيّة والمعاصرة.

المحور الثّاني: مفهوم الانغماس اللّغوي اصطلاحا.

المحور الثّالث: "الانغماس اللّغويّ" الذّي هو وسيلة لتحصيل الملكة اللّغويّة.

الخاتمة : تضمّنت أهمّ النّتائج المتوصّل إليها من خلال هذه الدّراسة.

1- المصطلح التّعليمي التراثي عند عبد الرحمن الحاج صالح

إنّ للمصطلح اللّساني عامّة والمصطلح التّعليميّ خاصّة أهميّة قصوى في الفكر اللّساني العربّي المعاصر، فهو أساس بناء النّظريّات اللّسانيّة وتنوّعها، و المصطلح مواكب لجديد العلوم والفنون وازدهار الثّقافات، يعكس مدى تنوّعها ومصادرها، ممّا قد يثير مشاكل عدّة، ولعلّ من أبرزها نقل المفاهيم وترجمتها، وتأصيلها عند بعض اللّسانيّين،

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

ودليل ذلك عدم اتفّاق اللّسانيّين العرب على تسمية واحدة موحّدة لعلم اللّسان، فضلاً عن وضع المصطلحات، فلقد كثرت مصطلحاتهم وتنوعت، منها: علم اللّغة، وعلم اللّغة العام، والألسنيّة، واللّغويّات، وغيرها من التّسميات، بل وأكثر من هذا فقد بلغ الأمر إلى أنّ هناك من يخلط بين مصطلحي علم اللّغة و فقه اللّغة فلا يفرّق بينهما تفريقا واضحاً، و يجعلهما علماً واحداً كالدّكتور "صبحي الصّالح" و الأستاذ "محمّد المبارك" وغيرهما.

لقد آثر الحاج صالح مصطلح علم اللّسان، لكوْنه مستخدما عند العرب قديماً، فقام ببعثه كمصطلح تراثيّ، فضلاً عن كون هذا المصطلح، أيّ لفظة 'لسان' أدق من كلمة 'لغة'، لأنّ كلمة 'لغة' "...قد تدلّ على معان أخرى مشتركة مشهورة،..."،[1] أمّا لفظة 'لسان' فإنّها لا تدلّ " إلاّ على معنى واحد وهو المعنى المقصود في تسميته (بعلم اللّسان)."[2]، ولا يمانع الأستاذ تسمية" اللّسانيّات كما نقول مثلا الرّياضيات أو البصريّات،... "[3].

والباحث الحاج صالح كان لا يلجأ إلى مصطلح غربيّ قبل أن يلجأ إلى المصطلحات التّراثيّة العربيّة الأصيلة، مقدّما إيّاها على غيرها من المصطلحات الوافدة، إذ كان يُطلَق مُصطلح اللّسان من قِبل النّحاة والعلماء العرب على مفهوم لغة المجتمع الواحد كما جاء في قول صاحب كتاب إحصاء العلوم: " فعلم النّحو في كلّ لسان إنّما ينظر فيما يخص تلك الأمّة، وفيما هو مشترك له ولغيره،..."[4]

وبالعودة إلى ميدان تعليميّة اللّغة العربيّة في عصرنا الحالي، فإنّ الأمر يدعو إلى الإصلاح في صلب المناهج التّعليميّة المتعلّقة بتدريس اللّغة العربيّة؛ فعند تطرق الباحث عبد الرّحمن الحاج صالح لتشخيص الوضع الرّاهن للّغة العربيّة وما أصابها من مشاكل عدّة، يرى أخطرها متمثلاً في حصرها عند مستوى واحد من التّعبير، وهو المستوى التّرتيلي الموجّه لكلّ المستويات والفئات على اختلافهم من حيث القدرة والاستيعاب، مع إغفال المستوى الثّاني العفوي إذ "لا توجد في الدّنيا لغة واحدة إلاّ وفيها هذان المستويان من التّعبير على الأقل..."[5]، ولكلّ موضعه ومقامه كما يقول "الجاحظ"(ت255هـ)، مبرزاً اختلاف ظروف النّاس وما تستدعيه حرمة المناسبات والمقامات :" لأنّ ذلك أشبه بالاحتفال، وبالتّعظيم والإجلال، وأبعدُ من التّبذل والاسترسال، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم." [6]

فتكون الفصحى في المستوى الأول وهو التّرتيلي الإجلالي، والعاميّة الفصيحة أيّ المستوى الاسترسالي الذي يمتاز بالخفّة لما فيه من كثرة الاختزال، واختلاس الحركات، والحذف، والتّقديم والتّأخير وما أشبه ذلك، فيكون في مواضع الأنس مع الأهل والولد، بيد أنّ الهيمنة الأحاديّة في التّعبير في تعليميّة العربيّة تعدّ إحدى الأسباب، فكانت "الكارثة التّي أصابتنا هو في انزواء العربيّة وابتعادها عن الميادين النّابضة بالحياة ألا وهي التّخاطب اليومي لأنّه تشترك فيه الخاصة والعامّة."[7] فلا سبيل إلى وجود هذا المستوى في التّخاطب اليومي وقد حلّت مكانه اللّهجة العاميّة المحليّة، لذا يناشد " الحاج صالح"، مبرمجي المناهج والقائمين على تطبيقها قائلاً:" وياحبذا لو أحياه المثقّفون وأنعشوه، و يمكن أن يحصل ذلك بإدخال عدد من قواعده في المناهج، وخصوصاً في كيفية الأداء الصّوتي"[8]، لأنّ المتعلم لا يعرف إلاّ الأسلوب التّرتيلي من التّعبير، أضف إلى هذا مسؤوليّة المعلّم الذّي لم ينبّه على وجود وجهين في التّعبير عند تأدية الأغراض، وقد حصر تعليميّة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

اللّغة العربيّة في التّعبير المنقبض الذّي يصلح في مقام الحُرمة، كخطاب الخطيب، والمحاضرات، وفي وسائل الإعلام كالإذاعة والتّلفاز وفي المناسبات الرّسميّة.

وممّا يؤكد لنا حرص الباحث عبد الرحمن الحاج صالح الشّديد على بعث التّراث اللّغوي من جديد -ولا سيما المصطلحات التّراثية- بقراءة جديدة تتماشى مع الدّرس اللّساني الجديد، ولكي نقف حقيقة على ذلك، هو تبنيه لمصطلح "الانغماس"، واستعماله لمادة [غ م س] كما نصت عليها المعاجم اللّغويّة التّراثيّة، لا كما تبنّى غيره من المحدثين العرب مصطلح "الحمّام" الذي استعمله فاروق شوشة حينما قال: " تعبير «الحمّام اللغوي» مأخوذ من أدبيات التربية الفرنسية، ويقصدون به أن يتعرّض النّشء المتعلّم وبخاصة في المراحل الأولى من الدّراسة لما يشبه الحمّام الذّي يغمره باللّغة المراد تعلّمها ..."[9]

ولكنّ الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح يرى كما يقول بشير إبرير أنّ: "المصطلح الأجنبي Bain Linguistique فقد ترجم في كثير من الكتابات العربية بـ « الحمّام اللغوي» وهي ترجمة حرفية قاصرة عن أداء المعنى كما ينبغي، وترجمه الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح بـ «الانغماس اللّغوي»؛ لأنّ العرب القدامى كانوا يأخذون أبناءهم إلى البوادي ليتشرّبوا اللّغة العربية من أصحابها الخلّص في بيئتها الصّافية ولينغمسوا في بحر أصواتها..."[10]

وتعدّ هذه من أمارات أصالة الباحث الحاج صالح في الفكر اللّسانيّ، تأصيله للمصطلح التّراثيّ في ميدان التّعليميّة.

ومن هنا نلفي عبد الرحمن الحاج صالح يتخذ من التّراث اللّغوي مادةً، ليس لإحياء لمصطلحاته فحسب، بل لكلّ دراساته المختلفة نظراً لشمولية هذا الكنز التّراثي اللّغوي، وهكذا يعمل الحاج صالح دوماً على التّوفيق بين نتائج الفكر اللّغوي القديم وما توصل إليه البحث اللّساني الحديث بفضل منهجه الوسطي المتمثل في هذه المقولة "لا تحيّز لقديم ولا مناصرة لحديث" بل الوسطية والاعتدال كانت هي منهجه في دراسة الموروث اللّغوي القديم.

2 – حول مفهوم "الانغماس اللّغوي" في بعض مصادر الفكر العربيّ:

لا حصول لملكة لسانيّة دون بيئتها اللّغويّة، فعلى كلّ طالب لتعلمّ لغة ما، أن يبحث عن وسط خاص، ليمارس اللّغة الهدف في مواقف يحيط بها، فتنمو بشكل طبيعي وصحيح .

"الانغماس اللغوي": المعنى اللّغوي: في المعاجم (التّراثيّة والمعاصرة):

أ- من المعاجم التّراثيّة :

(غ، م، س)، باب السّين، فصل الغين؛ أي:"الغمسُ : إرساب الشّيء في الشّيء السّيّال أو النّدى أو في ماء... وكذلك إذا رمى الرّجل نفسه في سطة الحرب أو الخطب... قال: وقال عليّ بن حجر: الاغتماس أن يطيل اللُّبثَ فيه،...وفي حديث المولود : يكون غميساً أربعين ليلةً أي مغموساً في الرّحم..."[11]

ورد في معجم مقاييس قوله: "(غمس) الغين والميم و السّين أصلٌ واحدٌ يدلّ على غطّ الشّيء. يقال: غمست الثّوبَو اليدَ في الماء، إذا غططتَه فيه...ويمين غموس قال قوم : معناه أن تغمس صاحبها في الإثم. وقال قومٌ: الغموسُ : النفذة. والمعنيان وإن اختلفا فالقياس واحد، لأنّها إذا نفذت فقد انغمست. "[12]

ب- من المعاجم المعاصرة:

معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: " ...انغمس في الماء أو غيره : ...، غطس فيه، انغمر به، غاص فيه "

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

انغمس في القراءة/ العمل...انغمس في الملذات ... انغمس لأذنيه: انشغل..." [13]

من كلّ هذا نقف على معاني الانغماس اللّغويّة، ومن ذلك :

دلالة التّغطيّة، والغوص، بيد أنّ "ابن منظور" تميّز عن غيره بتجاوزه للتّعريف المعجمي إلى الدّلالة الاصطلاحيّة لمّا أشار إلى مسألة العامل الزّمني حينما قال :("الاغتماس: أن يطيل اللُّبثَ فيه...")، وبهذا النّص تكون الشّرارة الأولى لمصطلح الانغماس اللّغويّ في تحديده الاصطلاحي.

"الانغماس اللّغويّ ": المفهوم الاصطلاحي :

يقول "الفارابي "(259-339 ه)، في معرض حديثه عن حدوث الصّنائع (في الفصل الثّاني والعشرين)، حينما تحدّث عن الذّين يُحصّنون عن حروف سائر الأمم وألفاظهم، لأنّهم: "إذا كثرت مخالطتهم لسائر الأمم وسماعهم بحروفهم وألفاظهم لم يؤمن عليه أن تتغيّر عادته الأولى ويتمكّن فيه ما يسمعه منهم ..."[14]، ولما كان الاستماع -وهو أبو الملكات [15] على حدّ تعبير "ابن خلدون"-لِلُغة الغير جزءاً من الانغماس اللّغويّ، صحّ أن يكون شرطاً أساسياً في تحصيل الملكة اللّسانيّة، مع تحقيق المكوث في البيئة اللّغويّة لمدّة كافيّة، يكون بالاختلاط والاحتكاك مع الأمم الأخرى، يضاف إلى كلّ هذا شرط ثانٍ لا يقلّ أهميّة عن الأوّل وهو تكرار الفعل وقد أشار إلى ذلك "الفارابي" في موضع آخر:" وإذا كرّر فعل شيء من نوع واحد مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتياديّة..." [16].

وأمّا "ابن خلدون"، فيقول في الفصل الحادي والخمسين: "...وهذه الملكة كما تقدّم إنّما تحصل بممارسة كلام العرب و تكرّره على السّمع والتّفطن لخواص تراكيبه،...وهذا أمر وجدانيّ حاصل بممارسة كلام العرب، حتّى يصير كواحد منهم. ومثاله: لو فرضنا صبيًّا من صبيانهم، نشأ وربيَ في جيلهم، فإنّه يتعلّم لُغتهم ويحكم شأن الإعراب و البلاغة فيها..."[17]

وهكذا يتضح من خلال ما تقدّم، أنّ من علمائنا القدامى مَن تفطّنوا لهذه الطّريقة المجدية النّاجعة للحصول على الملكة اللّغوية، التّي نستشفُّها من كلام العلاّمة "ابن خلدون" ، فالانغماس اللّغويّ يحصل عنده بـ :

- الممارسة الكلاميّة.

- تكرار السّمع للكلام، "...والسّمع أبو الملكات اللّسانية ..."[18]

- التّفطّن للجمل والتّراكيب وخصائصها، لا للمفردات، كما جاء في قوله: "...وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات، و إنّما هو بالنّظر إلى التّراكيب"... [19]

- البيئة اللّغوية ، لمّا ضرب مثلاً بالصّبي الذي ينشأ ويتربّى في بيئة لغوية، فإنّه يتعلّمها ويتمكّن منها، فتتكوّن لديه مهارتا الفصاحة والبلاغة.

استكمالاً لآراء "ابن خلدون" في موضوع الانغماس اللّغوي، نشير إلى أنّه -في موضع آخر من المقدّمة-فطن إلى أنّ الطريقة المثلى في تعليم اللّغة المران وكثرة حفظ الكلام الجاري على أساليب القرآن والحديث، وكلام السلف، والقراءة لفحول العرب من الشّعراء والأدباء لينطبع لسان المتعلم ويرسخ في عقله اللّغة وتتجلّى في فكره، وخير دليل وشاهد على ذلك ما يقوله النّاقد حسين المرصفي عن منهج شاعره محمود سامي البارودي بأنّه : "لم يقرأ كتابًا في فن من فنون العربية؛ ... فكان يستمع لمن له دراية وهو يقرأ بعض الدّواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصوّر في برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية... فصار يقرأ ولا يكاد يُلحِن"[20] بيّن الشّيخ حسين

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

المرصفي في هذا النّص الطريقة التّي سلكها تلميذه البارودي والمثمتلة في قراءة النّصوص الجيّدة وحفظها والعكوف عليها.

وقرّر "ابن خلدون "أنّ سكان الحضر أشدّ إغراقا في اللّحن من غيرهم من أهل البدو، لأنّهم لقنّوا أوّل أمرهم وانغمسوا في لغة ملحونة غير سليمة فاعوّجت ألسنتهم وفسدت لغتهم وحادت عن الكلام الفصيح، وفي ذلك يقول: "وهذا هو معنى...من أنّ اللّغة للعرب بالطّبع أي الملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم." [21]

ولاكتساب الملكة بل لا بدّ من مخالطة أهل البدو والتدربّ على محادثهم، والانغماس لمدّة كافيّة في بيئتهم، لأنّ اكتساب الملكة اللّغويّة لا تكتسب إلاّ بالتّكرار والمران والممارسة المستمرة كما يحاكي الصّبيّ والديه في النّطق بالمفردات والتراكيب بدون ما شعور منه، و"الملكات لا تحصل إلاّ بتكرار الأفعال " [22]، إذن ليس من المستحيل أو العسير أن يتعلّم اللّغة العربيّة غير الناطقين بها، أو يتعلّم العربيّ لغة غيره بدون قواعد نحوية أو حفظ متونها، وقد دعا "ابن خلدون" إلى انتهاج هذه الطريقة المثلى في اكتساب الملكة.

فالنّحو وحده لا يكفي، وهذا ما أكّده "ابن خلدون" حينما قال:"وكذلك نجد كثيراً من جهابذة النّحاة، والمهرة في صناعة العربيّة المحيطين علماً بتلك القوانين، إذا سئِل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودّته أو شكوى أو ظلامة أو قصد من قصوده، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللّحن، ...فمن هنا يُعلمُ أنّ تلك الملكة هي غيرُ صناعة العربية، وأنّها مستغنية عنها بالجملة." [23] كمثل الذي يحفظ ألفية "ابن مالك" ولا يستطيع أن يتجاوز في كلامه جملة أو جملتين إلاّ ويلحن فيهما (إن لم أبالغ في ذلك، مع التّحفظ من التّعميم)، وهكذا كان انتقاد "ابن خلدون" للنّحويين واتهامهم بقصورٍ في التّعبير مع حسن امتلاكهم صناعة العربية وتمكنّهم منها، أي معرفتهم بقوانين هذه الملكة ومقاييسها.

وقد أكدّ علم اللّسان ضرورة الاهتمام بملكة السّمع - وقد تبيّن لنا من قبل عند العلاّمة "ابن خلدون"- باعتبارها الحاسّة الأولى والمساهمة في عملية التّعلّم، و ذلك أنّ الانسان يسمع قبل أن يتكلّم.

3-مفهوم الانغماس من منظور "الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح" :

أمّا مفهوم مصطلح الانغماس اللّغوي من منظور "الباحث عبد الرّحمن الحاج صالح"، فنقول إنّه يرى المصطلح الأجنبي 'Bain Linguistique' الذّي تُرجم في كثير من الكتابات العربيّة إلى الحمّام اللّغوي، بأنّ هذه التّرجمة لا تعدو أن تكون حرفيّة وقاصرة ولا تفي بالمعنى المقصود، ولذلك ترجمها بِـ : 'الانغماس اللّغوي'، فهو في كلّ مرةّ نراه يرجع للتّراث العربيّ الأصيل، مبدياً إعجابه بتبنيه مصطلحاته، لأنّ اختياره لهذا اللّفظ على أنّ " هذه المهارة (الملكة اللّغويّة عند علمائنا القدامى) لا تنمو ولا تتطوّر إلاّ في بيئتها الطبيعيّة التّي لا يُسمع فيها صوت أو لغو إلاّ بتلك اللّغة التّي يُراد اكتسابها...فلا يسمع غيرها ولا ينطق بغيرها وأن ينغمس في بحر أصواتها..."[24]، فينأى عبد الرّحمن الحاج صالح بتّعريف هذا المفهوم، عن ترجمته الحرفيّة التّي لا تعبّر عن المفهوم الحقيقي لهذا المصطلح.

وفي سياق حديثه عن البحوث العلميّة في اللّسانيّات التّطبيقيّة ومنهجية تعليم اللّغات، يشير عبد الرّحمن الحاج صالح إلى الانغماس اللّغوي وما يقوم عليه هذا المفهوم، والذّي نستشفّه من نصّه سالف الذّكر، إذ يضع له شرطين أساسين، هما :

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

- ضرورة توفّر البيئة الطبيعيّة التّي لا يُسمع فيها إلاّ أصوات اللّغة المستهدفة، ولا ينطق سواها.
- ضرورة المدّة الزّمنيّة الكافيّة حتّى يتمكّن المتعلّم من الانغماس في بحر أصوات اللّغة المكتسبة وتراكيبها.

ويتأكّد من خلال ما تقدّم أنّ ما قدّمه اللّسانيّ "الحاج صالح" ليس إلاّ خلاصة مكثفة للانغماس اللّغوي، ويظهر ذلك جليّاً حين ذكر بأنّه المكوث والعيش في بيئة لغوية طبيعيّة لمدّة كافيّة، لكي يتأتّى للمتعلّم اكتساب الملكة اللغويّة للّغة المراد تعلّمها، ولذلك لا مناص لمتعلّم لغة ما، أن يُوفرّ له مناخ الاكتساب والتّعلّم، لأنّه كلّما زاد السّمع وتكرّرت العمليات الكلاميّة، والمكوث في هذا الوسط اللّغوي، زادت احتمالات ظهور هذه الملكة اللّغوية وانتعاشها وتطوّرها عند المتعلّم المغموس ملكةً ومهارةً، وهو الوسط اللّغويّ الذّي لا يُسمع فيه إلاّ الصّوت أو الهمس بتلك اللّغة المطلوب تعلّمها فيصبح الانغماس اللّغويّ هو الطّريقة الأنجع لترسيخ هذه الملكة اللّسانيّة.

ومعنى ذلك، أنّ مفهوم الانغماس اللّغوي يرتبط بتعلّم اللّغات، ويقصد به استعمال اللّغة في التّخاطب اليومي وفي شتّى النّشاطات التّعلميّة؛ ليتاح للمتعلّم فرصة امتلاك التّعبير السّليم بيسر وسلاسة، وهذا ما يُفعل بالطّلبة الأجانب عند تعلّمهم للّغة الثّانيّة، ويعدّ شرطاً أساسياً لحصولهم على هذه الملكة اللّسانيّة، لذا اتّضح لمسؤوليهم حلّ وحيد وناجع في أنّهم "يمنعونهم من السّماع والتّحدّث بغير اللّغة التّي سيتلقون بها دروسهم، وقد نجحت الفكرة إلى حدٍّ بعيد." [25]

ولتطبيق الانغماس اللّغوي وتفعيله لابدّ من برنامج يتضمّن عدّة نشاطات يتمّ بها التّفاعل والاحتكاك مع أبناء اللّغة المستهدفة وأصحابها؛ لأنّ اللّغة " أصوات تلفظ وتسمع، وأنّ المخاطبات اليوميّة تشكل القسط الأوفر من استعمال النّاس للغة." [26]؛ ولأنّ برنامج الانغماس اللّغوي هو عبارة عن مجموعة من الأنشطة الفعّالة، وهو إجراء تعليميّ لضمان المهارة اللّغويّة المقصودة من خلال تدريس مواد وتفعيل بعض الأنشطة البيداغوجيّة مدرجة في برنامج مصحوب بما يوضح المعاني من وسائل التّبصير،[27] مثل مشاهدة الأفلام، وقراءة الكتب والمجلات، والألعاب اللّغويّة وغيرها من الوسائل البيداغوجيّة.

ومهما يكن من أمر هذه التّعاريف المفاهيميّة، فإنّ المفهوم الكلّي للانغماس اللّغوي- عند جميع من ذكرت- يكاد يكون هناك إجماعٌ على أنّه:

- لبْثٌ في بيئةٍ معيّنةٍ لمدّةٍ كافيةٍ، وهو أسلوب تدريسيّ، وتقنية حديثة، وبرنامج تعليميّ لظهور الملكة اللّغويّة وترسيخها، كما ينمّي هذه الملكة فتصبح مهارة وكفاءة للّغة المراد اكتسابها.
- لا تحصيل لملكة لسانيّة دون بيئة لغويّة.

ويجدر بنا قبل أن نختم هذه الدّراسة، عرض تجربة حديثة ناجحة أتت أكلها طيّبا (1965م)، وتعتبر نموذجا تطبيقيا ذا فاعلية كبيرة، وكذلك أثبتت مدى فاعلية الانغماس اللّغوي لتنمية المهارات اللّغوية، **<u>هي تجربة " سانت لامبرت" بكندا:</u>** وتعدّ هذه التجربة، من بين الدّراسات الغربية التي تناولت الانغماس اللّغوي، "وقد اعتمدت المدرسة اللّغة الفرنسية لغة للتّدريس، وكانت اللّغة الأم للطلبة هي الإنجليزية، وأمّا المعلّمون فكانوا يتقنون ثنائية اللّغة هما الفرنسية والإنجليزية.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

وقد اشتهرت هذه التجربة التربوية التّي أثرت في المجتمع الكندي بل العالم بأسره بفاعليتها في تمكين أبناء الكنديّين في اللّغة الفرنسية واستخدامها في حياتهم اليومية، وفي الوقت نفسه، فقد احتفظوا بكفاءتهم في اللّغة الأم الإنكليزية. ويجدر بالذكر أن نجاح تجربة سانت لامبرت يعزى إلى ثلاث عوامل هي:

الأول: الطبيعة غير المعتادة لهذه التجربة، إذ شجعت الآباء في إرسال أبنائهم تطوّعا، وفي الوقت نفسه كان لدى المعلّمين اهتمام حقيقي ورغبة صادقة في إنجاح التجربة.

الثاني: الخلفية الثّقافية للآباء، إذ اهتمّوا بتقدم أطفالهم لغويا وأكاديميا، واستطاعوا تقديم النّماذج اللّغوية المناسبة والتشجيع المستمر لأطفالهم.

الثالث: وظيفة كل من اللّغتين ووضعهما الاجتماعي، إذ أنّهما وقعتا في محل الاهتمام ثقافيا واقتصاديا في ذلك الوقت."[28]

الملاحظ من هذه التجربة أنّ هذه المجموعة من المتعلّمين الكنديّين للّغة الفرنسية -الذين انغمسوا في بيئة قاطنوها يتحدثون بالفرنسية- لم تتأثر لغتهم الأولى وهي الإنجليزية.

وأنّ هذه التجربة أظهرت نتائج إيجابية متعدّدة أهمّها :

- فوائد لغوية ومعرفية،
- تطوير قدرات عقلية وفكرية،
- وبناء علاقات اجتماعية وثقافية مع سكان اللّغة الهدف.

خاتمة :

نخلص في الأخير إلى أنّ الباحث "عبد الرّحمن الحاج صالح" - ببحوثه التي تثري وتصبّ في مجال العملية التّعليمية والتّربوية- أسهم في إعطاء بدائل ناجعة في طّرائق التّدريس من أجل رفع مستوى المعلّم والمتعلّم على حدٍّ سواء، كما أنّ لها الدّور الفعّال في إنجاح العملية التّعليمية بشكل عامّ.

وبعد عرضنا لمفهوم الانغماس اللّغويّ داخل المعاجم التّراثيّة والمعاصرة، تطرّقنا أيضاً إلى مفهومه خارج المعاجم عند "الفارابي"، وأخصّ بالذّكر النّصوص التّي جاءت في المقدّمة لابن خلدون، فهذه الأخيرة وقفنا عندها وقفة متأنيّة نظراً لأهمّيتها، وبالتّالي تعتبر محاولة منّا لفهم المقصود منها وهو ما يُصطلح عليه حالياً بالانغماس اللّغويّ، بيد أنّه لم يكن موجوداً في عصره كمصطلح معروف ومتداول.

كلمة أخيرة نختم بها، هي أنّنا لا نشعر بأيّ فارق من حيث المفهوم بين ما قاله "ابن خلدون" على حدّ فهمنا لنصوصه، وما قاله "عبد الرّحمن الحاج صالح" عن مفهوم الانغماس اللّغوي، فهما قريبا التّصوّر ويتّفقان إلى حدٍّ ما، في مبدأين أساسين يتأسّس عليهما مفهوم الانغماس اللّغوي، هما:

- السّماع والممارسة للّغة المستهدفة .
- المكوث لمدّة كافيّة في البيئة اللّغويّة للّغة المراد اكتسابها.

فالتّعلمّ بالانغماس يعتبر إجراء تعليميّاً، وممارسة للّغة الثّانيّة، شريطة توفرّ بيئة صالحة وهو جوهر الانغماس لاكتساب المهارة اللّغويّة المقصودة وضمانها.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

الهوامش والإحالات:

1- الحاج صالح، عبد الرحمن: بحوث و دراسات في علوم اللّسان، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012م، ص: 36.

2- الحاج صالح، عبد الرحمن: بحوث و دراسات في علوم اللّسان، (م ن)، ص: 37-38.

3- الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث و دراسات في علوم اللّسان، (م ن)، ، ص: 38.

4- الفارابي، عبد الرحمن :إحصاء العلوم، دار و مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1،1996 م، ص:35.

5-الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث و دراسات في اللّسانيات العربيّة، موفم للنشر، الجزائر، دط ، 2012م، ج1، ص: 178.

6- الجاحظ، أبو عثمان عمرو : البيان و التّبيين، تح/ عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م،(م ن)، ج3، ص:114.

7 - ينظر : الحاج صالح، عبد الرحمن :بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،(م س) ، ج 1، ص:161.

8 - ينظر : الحاج صالح، عبد الرحمن :بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،(م ن) ، ج 1، ص:177.

9-شوشة، فاروق، عليكم بالحمام اللغوي، جريدة الأهرام، ع 46920، الأحد 6 من شعبان1436هـ/ 24 مايو2015م.

10- إبرير، بشير : أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر،ع 7، 2005. ص: 06.

11- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، ج6، ص : 156.

12- ابن فارس، أحمد أبو الحسين بن زكريا : معجم مقاييس اللّغة، تح/ عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ/1979م، ج4، ص:394-.395

13- مختار، أحمد عمر:معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، مج3، ص:1641-.1642

14- الفارابي، أبو نصر : كتاب الحروف، تح/ محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، دط، دت، ص:146.

15- ينظر : ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط ، 1427-1428 هـ/2007م، ص:598.

16- الفارابي، أبو نصر : كتاب الحروف، (م س)، ص:.135

17- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، (م س)، ص:.615

18-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، (م ن)، ص:.598

19- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، (م ن)، ص:.607

20- المرصفي، حسين : الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1433هـ/2012م، ج2، ص: 408.

21- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، (م س)، ص:.607

22- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، (م ن)، ص:.607

23- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، (م ن)، ص:.613

24- الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث و دراسات في اللّسانيات العربيّة، (م س)، ج1، ص: .193

25- الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث و دراسات في اللّسانيات العربيّة، (م ن)، ج1، ص: .193

26- الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث و دراسات في اللّسانيات العربيّة، (م ن)، ج1، ص: .193

27- ينظر : الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث ودراسات في علوم اللّسان، (م س)، ، ص: .229

28- إسماعيل، محمّد زيد وإسماعيل، داود : برنامج الانغماس اللّغويّ في تحسين المهارات اللّغوية، الجامعة السلطان زين العابدين ترنجاو، ص: 01-02.

المصادر والمراجع:

- إبرير، بشير : أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 7، 2005.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدّمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط ، 1427-1428 هـ/2007م.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704

- ابن فارس، أحمد أبو الحسين بن زكريا : معجم مقاييس اللّغة، تح/ عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ/1979م، ج4.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، ج6.
- إسماعيل، محمّد زيد و إسماعيل، داود : برنامج الانغماس اللّغويّ في تحسين المهارات اللّغوية، الجامعة السلطان زين العابدين ترنجاو.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو : البيان والتّبيين، تح/ عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م،(م ن)، ج3.
- الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، موفم للنشر، الجزائر، دط ، 2012م، ج1.
- الحاج صالح، عبد الرحمن : بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنشر، الجزائر، دط ، 2012م.
- شوشة، فاروق، عليكم بالحمام اللغوي، جريدة الأهرام، ع 46920، الأحد 6 من شعبان1436هـ/ 24 مايو2015م.
- الفارابي، أبو نصر : كتاب الحروف، تح/ محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، دط، دت.
- الفارابي، عبد الرحمن :إحصاء العلوم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1،1996 م.
- مختار، أحمد عمر : معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، مج3.
- المرصفي، حسين: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1ن 1433هـ/2012م، ج2، ص: 408.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1704